

تاريخ الجزائر في منظور الكتاب الفرنسيين: الشبهات المنهج والأهداف.
Algerian's history in the perspective of French writers: suspicions, method and the objectives.

طاهر بخدة*

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة مصطفى اسطيمبولي معسكر، الجزائر. العنوان الإلكتروني المهني للباحث: tahar.bekhadda@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 2021/10/05. تاريخ القبول: 2022/10/17 تاريخ النشر: 2022/05/01

ملخص: يتناول هذا البحث قضية ذات أهمية بالغة، تتعلق بالتاريخ لا كمجرد أحداث، أو مراحل طواها الزمن، بل قضية مصيرية تخص مسار تاريخنا كاملا لأمة وشعبا طوال آلاف السنين، والذي حاولت فيه الدراسات الإستشراقية والفرنسية بالخصوص، من خلال مناهجها ومدارسها، دراسة وكتابة تاريخنا وفق أغراضها وأهدافها الاستعمارية، ولاسيما أصحاب المدرسة الوضعية التي لا تعترف بالدين ولا بالقيم، فشوهت التاريخ ووجهته نحو الوجهة السلبية، بل حرّفته وفسّرت تفسيراً مادياً مغرضاً بحجة تطبيق مناهج علمية، وهو ما أثر سلباً في نظرة أبناء الوطن لتاريخهم، بلغت بهم أحياناً حد التبرؤ منه والدعوة إلى رميه في المزبلة، ناهيك عما نشرته تلك الدراسات من صراعات وفرقة، وكره للتاريخ، وللأسف لا تزال هذه الآثار والأفكار إلى الآن في مخيلة كثير من أفراد المجتمع، وبالتالي حان الوقت لإعادة النظر في تاريخنا وفهمه بمنظور وطني يخدم مصالحنا الوطنية. عالجتنا هذا البحث من خلال العناصر التالية:

- 1- التعريف بالمدرسة الوضعية: برزت هذه المدرسة بوضوح في القرن 19م وكان من روادها الفرنسي أوغست كونت.
- 2- أثر النزعة الوضعية على الكتابة التاريخية: تزامن ظهور هذه النزعة مع بداية الاهتمام بالتاريخ أواخر القرن 18م حيث ظهرت فلسفة التاريخ التي أعطت له تفسيرات وأبعاد قومية واقتصادية واجتماعية.
- 3- الفرنسيون وتاريخ الجزائر: جاء الاحتلال الفرنسي للجزائر في ظل اكتمال أفكار المدرسة الوضعية والتي تم تطبيقها في الجزائر كأحد أساليب الاستيطان والاستغلال.
- 4- النظرة لتاريخ الجزائر ومنهج كتابته: كُتب تاريخ الجزائر بطريقة مشوهة وانتقائية لأغراض استعمارية، وحقد صليبي. وقد طرحنا لهذا البحث الإشكالية التالية: ما مسار تاريخ الجزائر وكتابته في ظل المدرسة الوضعية، وما تأثير هذه النزعة في ثقافة وبنية المجتمع الجزائري؟ وهل نحن أمام ضرورة إعادة بناء وتفسير تاريخنا؟

الكلمات المفتاحية: الإستشراق، مركزة التاريخ، النزعة الوضعية، كتابة التاريخ، المادية، شبهات تاريخية، تاريخ وطني.

Abstract: This research treat a very important issue, related to history, not as passing events, but as a fateful issue concerning the entire historical track of a nation, for thousands of years, who the French positivist schools, study and write our history according to its colonial purposes, who ignored values, and religion, where she distorted history, and turn it into a negative destination, with materialist explanation disdainful under the pretext of applying scientific methods, which negatively affected the Algerian's view of their history, which led them to disavow, and reject it, in addition to spreading conflicts, and division among Algerians, and hating their history; unfortunately, this ideas are still the same for many Algerians until today; now it is time to reconsider our history, and understand it with a national perspective that serves our interests. the problematic of this research is: what is the point of Algerian's history, and writing under the positivist school.

Keywords: positivist school; historical materialism; history national; writing history; Algerian citizens.

توطئة:

إذا كان التاريخ حركة مستمرة وفي حاجة دائمة إلى تركيب وتفسير، لا سيما مع التطور العلمي وما صاحبه من استحداث مناهج جديدة في البحث والحفظ والدراسة، فإنّه من الضروري الآن الاهتمام بالتاريخ الوطني الجزائري في مختلف مراحل وعصوره في ظل هذه التطورات التي كثيرا ما تبديه لنا بمظهر سلبي مشبوه، بعيدا عن إطاره الجغرافي والثقافي والحضاري والديني، ورغم ما قام به الأوروبيون وبالخصوص الفرنسيين من عمل إيجابي وحيد، وهو جمع وتنظيم وحفظ أوعية التاريخ (مخطوطات، كتب، آثار ...) فإنّ ما كتبوه عن الجزائر لا يخلو من مزلات ومغالط، بل أعمالا مغرضة، هدفها تشويه التاريخ ووضعها في مسارات وفق مناهج تحقق أغراضهم الاستعمارية، وحقد صليبي المدفون ضد الإسلام والحضارة الإسلامية، وعليه يجب الحذر عند التعامل مع هذه الكتابات، وإعادة قراءة تاريخنا وبنائه وتفسيره انطلاقا من مقوماتنا وهويتنا.

* طاهر بخدة

والحقيقة أنَّ الكتابة في هذا الحقل من الدراسات التاريخية أقصد الجانب المنهجي قليلة إذا ما قورنت بالتاريخ الحديث الصرّف، ذلك أنَّ كل ما كُتب إما عموميات عن مراحل تاريخ الجزائر، أو تاريخ موضوعي (حسب المواضيع) ويُعد الأستاذ أبو القاسم سعد الله أشهر من كتب في الجانب المنهجي، وقد كان لهذا النقص أثره السيئ في دراسة وفهم وتوظيف الجزائريين لتاريخهم، والذي ساهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في كثير من الأزمات السياسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية، وهو ما سنحاول التطرق إلى جانب منه وتوضيحه في هذا البحث، لأنَّ ما يهمننا في التاريخ ليس الحدث التاريخي، وإنما أبعاده وأهدافه، وكيفية توظيفه والاستفادة منه في جميع المجالات.

1. التعريف بالنزعة - المدرسة - الوضعية:

ظهرت المدرسة الوضعية كمنهج فلسفي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وجاءت كنتيجة لعصر التنوير في القرن الثامن عشر الذي يوصف بأنه عصر العقل والعلم، عصر الإيمان بقدرة العقل على فهم الكون وإخضاعه لحاجات الإنسان على حساب الدين والأخلاق، ولذلك كان الفيلسوف أوغيست كونت يرى أنَّ هناك مجتمعاً في حالة أفول وموت وهو المجتمع اللاهوتي، ومجتمعاً في حالة الولادة هو المجتمع العلمي¹، ويقوم فكرها على أنَّ الدين ليس حالة ثابتة، بل هو ظواهر اجتماعية إنسانية غير مقدّسة يُمكن تحليلها تحليلاً علمياً كباقي الظواهر.

إنَّ وضعية كونت في القرن التاسع عشر هي امتداد لفكر مجموعة من الفلاسفة بداية بـ FRANCIS BACON (1561-1626) الذي دعا في فلسفته إلى إصلاح أساليب التفكير وطرق البحث، عندما قال أنه على العالم أن يأخذ من الظواهر والحوادث وبواسطة التجربة ما يبني به العلم، فالفلسفة القديمة في نظره فشلت لكونها كانت تهتم بالمعرفة لذاتها واشتغلت بالجدال والمناظرة، بينما المعرفة هدفها نفعي وهو السيطرة على الطبيعة وإخضاعها لأغراضنا العملية، وهذا هو الدرب الذي يجب أن تسير فيه الفلسفة والعلم، بتغيير الهدف والوسيلة²، ثم جاء RENE DECARTES (1596-1650) الذي يقول بضرورة إيجاد فلسفة عملية تجعل الإنسان سيداً ومسجّراً للطبيعة³، وصولاً إلى Claude de saint Simon (1760-1825) مؤسس الاشتراكية الفرنسية، التي وجدت (الوضعية) بنورها عنده، فقام كونت بتوسيع دائرتها، وجعل منها نظرية شاملة تستوعب كل التراث الإنساني ماضيه وحاضره، وجعل منها منطلقاً في التحليل يمتد إلى كل أطراف العلوم ومنها العلوم الإنسانية⁴.

1.1.1 النزعة الوضعية (المذهب الوضعي):

يُطلق المذهب الوضعي عادة على مذهب أوغيست كونت (1798-1857م) الذي يرى أنَّ الفكر البشري لا يستطيع الكشف عن طبائع الأشياء، ولا عن أسبابها القصوى وغاياتها النهائية، وإن كان يستطيع إدراك ظواهرها والكشف عن علاقاتها وقوانينها، وقد مرَّ هذا الفكر حسب بثلاث مراحل: الحالة اللاهوتية أو الوهمية، الحالة الميتافيزيقية أو المجردة، الحالة الوضعية أو العلمية، والحالة الأخيرة هي الحالة النهائية والثابتة⁵ ولمّا أدرك الفكر البشري هذه الحالة الوضعية، وعرف أنه ليس في مقدوره الحصول على حقائق مطلقة، عدل عن البحث عن مبدأ العالم وغايته، وعن الكشف عن الأسباب الباطنية للأشياء، وانصرف باستخدام الملاحظة والاستدلال معاً إلى الكشف عن قوانين الظواهر أي عن علاقاتها الثابتة التي لا تتغير⁶، وقد عبّر كونت عن أفكاره الوضعية هذه في أربعة كتب هي:

- محاضرات في الفلسفة الوضعية (1830-1840) cours de philosophie positive

- خطاب حول العقل الوضعي (1844) discours sur l'esprit positif

- نظام السياسة الوضعية (1852-1854) le système de politique positif

- البيان الوضعاني (1852) le catechisme positiviste

وتُطلق الوضعانية أيضاً وبشكل موسّع إضافة إلى عقيدة أوغيست كونت على المذاهب المشابهة لها، والتي تجمعها أطروحات مشتركة تقول أنَّ معرفة الوقائع هي المثمرة وحدها، وأنَّ العلوم الاختبارية هي التي تمدنا بنموذج اليقين بعيداً عن كل ما هو قبلي⁷. استعمل مصطلح الوضعية لأول مرة من طرف سان سيمون في إحدى مقولاته، سنة 1808م، ثم من طرف أتباعه (المدرسة السان سيمونية) والذي كان يشير إلى اتجاه الفكر العرفاني نحو العلوم الفيزيائية بوصفها نموذجاً لليقين والصحة والدقة، ومن هنا فالوضعية تُعارض كل ميتافيزيقي، وكل مذاهب التعالي والمثالية باعتبارها أنماطاً متخلفة ورجعية من أنماط الفكر⁸.

انطلق أوغست كونت في صياغة فلسفته الوضعية من أحداث الثورة الفرنسية، حيث كان الفكر الكنسي اللاهوتي لا يزال حتى أواخر القرن الـ18 م مسيطرا على الحياة الاجتماعية والعقلية، إضافة إلى حالة الفوضى التي أصبح يعيشها المجتمع الفرنسي جراء الاضطرابات، لذلك حاول إعادة بناء المجتمع بنظام جديد من التنسيق وإعادة صياغة فكره بعيدا عن النظم السياسية أو الدينية⁹، أي أراد الاستعاضة عن العقيدة الموحى بها، والتي انتهت جذوتها إلى الركود بعقيدة يقوم عليها البرهان، من خلال عقل جديد تكون فيه العلوم الوضعية أصلا للإيمان القائم على البرهان لأنَّ العقائد الدينية والميتافيزيقية أصبحت عديمة الصلاحية¹⁰.

والخلاصة فالنزعة الوضعية positivisme ترى أنَّ المعرفة الصحيحة هي المعرفة المبنية على الواقع والتجربة، وأنَّ العلوم التجريبية هي التي تحقق المثال الأعلى لليقين، فالواقع هو الذي يوجد في العلم وحده مستقلا عن الشرع الإلهي، أي إنكار وجود معرفة مطلقة (الله) كمصدر للمعرفة في العلوم الاجتماعية والإنسانية¹¹، أمَّا اللاهوت والميتافيزيقا اللذان يزعمان أيضا تعريفنا بطبيعة الأشياء فهما نظامان وهميان، وعلى هذا فالوضعي مرادف للحقيقي والتجريبي، ومقابل للتأملي والخيالي والوهمي¹². وحتى الفلاسفة الذين كان لهم احتراماً للدين، تغيرت نظرتهم، فها هو هيغل يرى أن الدين لا يجب أن يكون أخرويا، بل دنيويا إنسانيا، وحسبه أن تحويل الدين إلى لاهوت جامد، يعني تحويل بصر الإنسان عن الأرض إلى السماء حيث عالم الماوراء بحيث يصبح عاملا من عوامل اغتراب الإنسان وشقائه¹³.

2. أثر النزعة الوضعية على الكتابة التاريخية:

يُعدُّ القرن الثامن عشر بداية الاهتمام بالتاريخ، وبتغيُّر النظرة إليه متأثرا بالزخم الفكري الذي بدأ يظهر، سواء الفلسفة (فلسفة التاريخ) أو النظريات الاجتماعية، وبالتالي مناهج كتابة التاريخ وفهمه، ودوره في مواكبة التطور الحضاري، ولعلَّ كتاب " تأملات جديدة حول التاريخ " للكاتب FRANCOIS MARIE AROUET- VOLTAIRE (1694-1778م) الذي صدر عام 1774م نموذجاً للنظرة الجديدة للتاريخ، فما كاد القرن الثامن عشر ينتهي حتى ظهرت عدة مذاهب ومدارس تاريخية، كالمدرسة المادية للاقتصادي الفرنسي سان سيمون، والتي تأثر بها بعده كارل ماركس (1818-1883م) وزميله فريدريك إنجلز (1820-1895م) وتزعماءها، والمدرسة التاريخية الألمانية، ومدرسة الحوليات الفرنسية التي جاءت إثر المدرسة الوضعية، وكل هذه المدارس اعتمدت المادية كعنصر مهم في التاريخ، وبالتالي كرّست الروح الاستعمارية لدى الدول الأوروبية، بل تبرير الاحتلال بأنه تحرير وتطوير للشعوب المحتلة، لاسيما مع النهضة الصناعية التي عرفتها أوروبا، فلم تعد المعرفة الأنثروبولوجية (ما هي الطبيعة الإنسانية وما الحقوق المقترنة بها) ولا الأخلاقية (ما غاية أو مصير الكائن الإنساني) هي الهدف الأسمى بل سيتم الاعتماد بالأساس على المعارف الاقتصادية¹⁴ (الاقتصاد السياسي) التي ستحدّد مكانة ومستقبل الدول.

أصبح التاريخ في نظر أصحاب النزعة الوضعية وعاءً للظواهر الاجتماعية التي أطلق عليها كونت المجموعات الاجتماعية، والتي يمكن أن يستخدمها الفيلسوف أو عالم الاجتماع أو الاقتصادي لدراسة نمو المجتمع والمتناقضات المرافقة له، مثاله في ذلك ميل المجتمع الإنساني الانتقال من الحضارة الحربية إلى الحضارة الصناعية، أو من الديانة المستمدة من الوحي إلى الديانة القائمة على العقل، وأنَّ دراسة المجموعات التاريخية وحدها هي التي تسمح لنا بفهم الحاضر، وبالتالي التكهّن إلى حد ما بالمستقبل¹⁵، لكن الملاحظ أنَّ هذه الأفكار كانت كلها مستوحاة من تاريخ ومجتمعات أوروبا، ومن لاهوتها الكنسي، جاعلة باقي الشعوب والثقافات خارج الدائرة اللهم إلا إذا كانت مجالا للتجربة أو لتطبيق أفكارهم عليها، وبذلك تحولت المعرفة من محاولة السيطرة على الطبيعة إلى السيطرة على الإنسان¹⁶، وعوض أن يكون الإنسان هو واضع مسار العلوم، حدث العكس حيث أصبحت العلوم هي التي توجه الإنسان، وهذا طبعا سيؤثّر على التاريخ منهجا وكتابة وتفسيرا.

ومن آثار الوضعية المادية على التاريخ أن أصبحت الموضوعية في مناهج البحث الغربية تعني في إحدى صورها مناقشة القضايا التاريخية وغيرها بمعزل عن التصور الديني¹⁷، وهو ما أصبح يُعرف بالمنهج العلمي، منتقدة (الوضعية) استخدام الدين (العناية الإلهية)، ومن هنا يظهر الصراع بين العلم والدين، ومحاولة إقصاء الأخير، وهو أمر مكشوف وواضح في فكر وكتابات الغرب، يقول بوترو: " ولم ينقطع بينهما صراع، يريد كل منهما أن يُدمر صاحبه لا أن يغلبه فحسب "18، ويتساءل كونت عن جدوى اللاهوت والميتافيزيقا كوسائل للبحث قائلا: " لقد حصلت الفلسفة الوضعية اليوم على حركة تصاعدية في الأذهان حيث يُفهم بصعوبة في أي عصر ما هي الفائدة، وأكثر من

ذلك ما هي الضرورة للفلسفة اللاهوتية والفلسفة الميتافيزيقية كسائل للبحث، ويمكن بعدها اعتبار مشروع دراسات في الفلسفة الوضعية قد بدأ فعليا¹⁹.

2.1. مركزة التاريخ:

الحقيقة أنَّ الموضوعية التي تتشدد بها مدارس التاريخ، وبالأخص الفرنسية منها، تتعزى أمام نظرة التعالي والنزوع إلى تصنيف تاريخ العالم وتقسيمه من منطلق المركزية الأوروبية، فتقسم التاريخ البشري إلى عصور: قديمة، وسطى، حديثة، تدور كلها حول تاريخ أوروبا الغربية، كما لو كان نظاما نهائيا صالحا لتفسير التاريخ كله²⁰، والذي يمكن دحضه بملاحظة بسيطة، ماذا تمثل أوروبا الغربية جغرافيا (من حيث المساحة) من بين الإمبراطوريات والدول الأخرى كالدولة الإسلامية، والإمبراطورية العثمانية، أو حتى الصينية؟ لقد أهمل الأوروبيون تاريخ شعوب بأكملها بهدف طمس حضارتها، فيدرجون العصر الذهبي للحضارة الإسلامية، وإنجازات سلالة تانغ الصينية (618-907م) والحضارة اليابانية ضمن العصور الأوروبية المظلمة، ويُجَدون في المقابل تاريخ الإغريق وتاريخ الرومان لأنه يمثل في أذهان الغربيين الهيمنة الفكرية والعسكرية التي يريدون إحيائها بطابع مادي. ومن مظاهر مركزة التاريخ أنَّ المسائل الفكرية والمشاكل الاجتماعية التي عاشتها أوروبا كانت تبدو في نظرهم أنها أكبر من غيرها، وبالتالي فهي أوثق صلة بالبحث، وكانت أحداث التاريخ الأوروبي دائما معالم لتحديد عصور التاريخ العالمي (476م، 1500م، 1789م، 1914م).

2.2. العنصرية ونظرة التعالي:

ظهرت في الغرب أوائل القرن التاسع عشر نظريات قسّمت شعوب العالم إلى فئات، على أساسين، عرقي: أجناس نقية، سوداء، ملونة، وفكري: أجناس عليا وأجناس دنيا، وجعلوا أنفسهم ضمن الجنس الآري النقي، صاحب الحضارة، وباقي الشعوب في المرتبة الدنيا، بل إنَّ مونتيسكيو لا يتردد في القول أنه من قدر الشعوب الجنوبية أن تغزوها الشعوب الشمالية باستمرار، ومن الطبيعي كون العبيد من الجنوب والسادة من الشمال، ويرون أنَّ بناء أوروبا لا يتم إلا بتفكيك وتدمير الآخر²¹، وقد بلغت العنصرية مداها خلال فترة الكشوفات الجغرافية منذ القرن السادس عشر، واستمرت إلى أواسط القرن التاسع عشر تقريبا، فقد ظلت سائدة في فرنسا مثلا حتى منتصف حتى إعلان إلغاء الرق سنة 1848م، كما مثّلت تلك الأفكار الأساس الثاني للحركة الاستعمارية التي شنتها أوروبا ضد دول إفريقيا وآسيا طوال تلك الفترة، ويبدو أنَّ هذه النظرة لا زالت مستمرة حتى الآن في ما يمكن أن نسميه بنظام العبودية الجديد، نظرة لم تفارق أذهان وأفكار الغرب، تمَّ فقط تغيير صياغتها في قوانين ومبادئ جديدة وفق التحوّلات الاقتصادية والاجتماعية، والتطورات العلمية (قانون السوق، الحرية الاقتصادية، العولمة ...) رغم ما يتشدد به من الحرية وحقوق الإنسان.

نالت العروبة والإسلام الحظ الأوفر من نظرة الحقد والعنصرية ضد هذا الدين وأهله، وإذ مثّلت الحروب الصليبية الجانب العسكري، فإن الاتهام الموجه له في العصر الحديث على أنه دين عدو الحضارة وبالتالي عدو الغرب، وهو ما نلمسه مثلا في موقف الكاتب الفرنسي مونتسكيو عندما يصف الإسلام (المحمدية كما يسميه) بأنه سيد الخوف، يتلاءم جيدا مع الاستبداد²².

والخلاصة أنه كنتيجة لعصر التنوير في القرن الثامن عشر، وقيام الثورة الصناعية، وما رافقها من فصل الدولة عن الدين، جاءت فلسفات التاريخ لتحل محل الإيديولوجية الكنسية، لتكرّس بخطاب فلسفي عقلي يستغني عن الدين وأخلاقياته، رؤية جديدة للعالم، للتاريخ والمصير محورها أوروبا²³، التي صاغ مفكروها حقائق التاريخ لتنسجم مع المذهب الوضعي، وتُساق للتدليل عليه وتأكيد، لأنه جاء كقضية بعدية سعى إلى جبر القبلات على التشكل به²⁴، وبظهور المذاهب الاقتصادية والاجتماعية، والاستراتيجيات السياسية الغربية الحديثة، زادت خنق التاريخ خدمة لمصالحها الاقتصادية والسياسية.

3- الفرنسيون والتاريخ الجزائري:

جاء الاحتلال الفرنسي للجزائر بعد ثلث قرن من الثورة الفرنسية وهي الفترة التي تبلورت فيها المدارس التاريخية الفرنسية بالخصوص، المدرسة الوضعية التي ظهرت بعد الثورة مباشرة بهدف إعادة البناء الاجتماعي على مستوي التفكير والمؤسسات، وعليه كان التاريخ أحد عناصر هذا البناء، وإن اختلفت هذه العملية بالمجتمع الفرنسي، فإنها

ستطبق أيضا على مستعمراتها كأسلوب لاحتواء شعوب تلك المستعمرات، ثم تأتي مدرسة الحوليات التي لا تقل خطورة من حيث أثرها السلبي على تاريخ وكتابة تاريخ الجزائر.

بدأ اهتمام الأوروبيين وبخاصة الفرنسيين بتاريخ العرب والإسلام في ما عُرف بالإستشراق، أين اتجه الأوروبيون إلى جمع المخطوطات العربية الإسلامية التاريخية منها والفقهية وترجمتها ودراستها لفهم ثقافة وبناءات المجتمعات الإسلامية، من أجل استعمالها في مخططاتهم التوسعية الاستغلالية، ولعلّ من الكتب التي مستها العناية مقدمة وتاريخ ابن خلدون التي أفادتهم في معرفة القبائل وتوزيعها وكل ما يتعلق بها، وقد ذكر سليمان ابن صيام ذلك الاهتمام في رحلته إلى فرنسا (نُشرت في خمسة أعداد من جريدة المبعثر: 115، 116، 117، 118، 119)، لحضور احتفال بتنصيب الإمبراطور نابليون الثالث على العرش سنة 1852م قائلا: "ثم أنّ أهل الدولة من كثرة عدلهم واعتنائهم بالأمر جمعوا أنواع الكتب الموجودة على الأرض وجعلوا لها خزائن وحفظوها ... حتى أنّ كتب المسلمين المعتبرة موجودة هناك" ²⁵، وعن نفس القضية يقول محمد السعيد علي الشريف وهو من الصحافيين الجزائريين الأوائل المدعويين أيضا: "إنّ سعادة وزير الحرب SAINT ARNAULT لمّا علم فضل تاريخ ابن خلدون أمر بطبع الجزأين المخبرين عن الدول الإسلامية بأقطار المغرب ما بين تونس ومراكش المشتغلين على أعراش العرب والبربر مفصلا ... وكان السيد دوسلان مكلفا بهذا الشأن قد جمع سبع أو ثماني نسخ من هذا الكتاب ... ثم طبع الكل في مجلدين" ²⁶.

4- المدرسة المنهجية الوضعية والتاريخ:

تُعدُّ الفترة الممتدة من 1871م إلى 1919م العصر الذهبي للاستعمار الفرنسي في الجزائر، ففي هذه الفترة غُزل الشعب الجزائري، وبلغت فيه حركة الاستيطان ذروتها واستولت فيه فرنسا على كل شيء ²⁷، الأرض، المؤسسات الثقافية والإسلامية وبالتالي تهيأت لهذا الظروف لتطبيق مناهجها، والتصرّف في التاريخ.

ظهرت المدرسة الوضعية الفرنسية إذن خلال حكم الجمهورية الفرنسية الثالثة (1870-1940م) متأثرة طبعا بأفكار الفيلسوف أوغيست كونت، حيث بدأت الكتابات الأولى عن تاريخ الجزائر مع أواخر الأربعينيات، ولعلّ من أشهر أعلامها الأوائل المتعصبين والحاقدون ضد الجزائر وتاريخها، نذكر: ERNEST RENAN (1823-1892) و ERNEST MERCIER (1878-1955) صاحب كتاب تاريخ إفريقيا البربرية، و EMIL FELIX GAUTIER (1864-1940) صاحب كتاب ماضي شمال إفريقيا الذي يصف تلك الفترة بالقرون المظلمة، و GEORGES MARCAIS (1876-1962).

5. النظرة لتاريخ الجزائر ومنهج كتابته:

طُبِّقَت مناهج المدرسة الوضعية في قراءة وكتابة تاريخ الجزائر من خلال:

أ- **التشويه التضليل:** تحليل وتفسير التاريخ الإسلامي تفسيراً مادياً، وتوجيهه وفق خط المدرسة الوضعية، والمادية الماركسية، فالفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب هو طمع في خيراتها ²⁸، والوجود العثماني في الجزائر احتلال، والثورة التحريرية هي ثورة جياح، يمكن معالجتها بالحلل الاقتصادية من خلال المشاريع، وحتى الحزب الشيوعي الفرنسي (p.c.f) الذي كان يبدو معارضا للإدارة الفرنسية رأى القضية الجزائرية من جانب مادي داخلي، يمكن تسويتها في الإطار الفرنسي. ومن مظاهر التضليل والتشويه أيضا الطعن في الشخصيات الإسلامية والدينية بهدف زرع الشك، ومنها وصف الأمير عبد القادر بالتعصب الديني أولاً ثم صديقا لفرنسا ثانية، وأنّ الهدف من ثورته هو أن يحل محل الحكم التركي ²⁹، وهكذا ...، ومنه أيضا الاهتمام بكتابة ثقافة التهريج والخرافات والفلكلور بهدف إعطاء صورة باهتة ومنقّرة عن التاريخ.

ب- **الانتقائية:** يركّز المؤرخون والكتاب الفرنسيون في تناولهم للتاريخ الإسلامي خصوصا على قضايا محددة وكتب معينة ³⁰، هي محل شك وطعن عند المسلمين، أثارها أو زرعها أعداء الإسلام قبلهم من اليهود والشيعة، فلمسلمين خصوم وللدّين أعداء، فيختار من الحوادث الفردية والمعزولة فيتم نخعها قصد التهويل، وبذلك ينتقون من التاريخ زبالة بهدف تنفير أهله منه كقضية الخلافة، ومنها أيضا تمجيد بعض الشخصيات التي برزت من خلال حدث واحد فقط، مثل دور الزعيم المسيحي كسيلة، أو الكاهنة اليهودية، وذلك كله حقدا منهم على الإسلام، فيحز في نفوسهم كيف استطاع هذا الدين الولوج إلى قلوب البربر في أقصر مدة، بينما عجزت المسيحية عن ذلك طوال عهود الرومان والوندال والبيزنطيين. وبرغبة استعجالية في سرد بعض الأحداث التي تنم عن نفس حاقدة، وكدليل على تلك الانتقائية

ما نلمسه لدى أحد الكتاب الفرنسيين، ففي صفحة واحدة فقط يورد ثلاث قضايا: غزو العرب لبلاد البربر، مقاومة البربر للعرب، انقسام المسلمين (سنّة، خوارج، شيعة) مع الإشادة بمذهب الخوارج لأنه ديمقراطي النزعة³¹، وذلك بهدف إظهار سلبية التاريخ الإسلامي.

الملاحظ أنّ كل الكتابات الفرنسية عن تاريخ الجزائر سواء التاريخية المحضة أو الآثارية تتجه إلى فترات محددة واحدة أو مواضيع معينة: تاريخ شمال إفريقيا القديم القرطاجي، الروماني، البربري، أمّا بالنسبة للفترة الاستعمارية فارتكزت على إحصاء الأعراس والقبائل، والتعريف برجال الطرقية وتقديمهم كممثلين للدين الإسلامي، وإبراز (كراماتهم) وفتح المجال لنشاطهم، وبالنسبة للآثار كلها تتناول منجزات الرومان، ولا أثر فيها للآثار الإسلامية.

ج- تفسير التاريخ تفسيراً خاطئاً: استغلّ الفرنسيون بعض المصطلحات أو الآراء التي أوردها مؤرخون مسلمون دون فهم وإشاعتها، ثم استعمالها كمبررات أو أدلة في تحاليلهم، ومنها مثلاً قول ابن خلدون في المقدمة: " وإفريقية والمغرب لمّا جاز إليها بنو هلال وبنو سليم ... قد لحق بها وعادت بسائطه خراباً كلها "³² فأخذوا هذه العبارة منسبين إلى العرب تحطيم وخراب إفريقيا (الدولتين الزيرية والحماذية) منتاسين مصطلح العرب الذي كان يطلقه ابن خلدون عادة على الأعراب، غير مفرّقين بين العرب كجنس والأعراب كحالة اجتماعية محدودة، وقد تشدّد بهذه الأفكار إميل قوتيي وملاً بها كتبه، لاسيما كتابه ماضي شمال إفريقيا، واصفاً فيه العرب بالبدو، هدفهم القضاء على البربر، وأنّ كل المدن بين تونس وتلمسان قد أصابها الشلل والموت خلال القرنين المواليين لدخول العرب، فتلاشت أشير، القلعة، بجاية، تيارت وغيرها، ونفس الفكرة تقريباً يرددها المؤرخ الإنجليزي EDWARD WILLIAM BOVILL (1892-1966) عندما يقول أنّ العرب كانوا سبباً في حدوث مجاعات فظيعة ببلاد المغرب، وأنّ أوروبا كانت الجهة الوحيدة التي زودتهم بالقمح³³.

إضافة إلى ما سبق لم يتوانى المؤرخون الفرنسيون من الإساءة إلى الفترات المزدهرة من تاريخنا، وإلى الشخصيات المهمة، وقد ذكرنا سابقاً كيف تم إدراج عصر الحضارة الإسلامية ضمن العصور المظلمة من تاريخهم، ووصف المرابطين بأنهم نصف همجيين³⁴ وذلك إلا لأنهم قهروا الصليبيين في موقعة الزلاقة المشهورة سنة 1086/479م التي قادها يوسف بن تاشفين ضد ألفونسو السادس ملك قشتالة.

د- التهويل والمقارنة البائسة: ويمكن ملاحظة هاتين النقطتين وبصفة خاصة في موضوعين رئيسيين: الفتح الإسلامي، ودخول العرب إلى بلاد المغرب، بالنسبة للموضوع الأول يلاحظ المبالغة في سوء تعامل الفاتحين مع البربر، ومنها أنّ عقبة بن نافع ارتكب مجزرة في حق أهل السوس وسبى نساءهم، أمّا بخصوص القضية الثانية، فلا تأتي مناسبة للحديث عن دخول عرب بني هلال وبني سليم لبلاد المغرب إلا ووصفوا بأقبح الصفات، ولاسيما من طرف قوتيي، ومارسي: منها الغزاة، وأنهم كانوا كارثة على شمال إفريقيا، وسبب خرابها³⁵.

حاول المؤرخون الفرنسيون عقد مقارنة بين بعض الأحداث التاريخية والوقائع الإسلامية، وبما يقابلها من الجانب المسيحي، لإظهار مثالب التاريخ الإسلامي والتشكيك فيه بتأويله تأويلاً مغرضاً، وفي المقابل تقديم تاريخهم كأنصع الصفحات، ومن أمثلة ذلك:

- قبول البربر للفتح الإسلامي وللحكم الإسلامي تحت الضغط خوفاً من القتل والسبي، وحماية لحريتهم، ويقارن هذا بما تعرضت له بلاد المغرب في الماضي، فروما رغم قضائهم على قرطاجة وتخلصها منها، لم تأمل في تكوين مجال إفريقي أوسع، وفرنسا لو تهتم باستغلال النصر بعد الاستيلاء على مدينة الجزائر العاصمة واعتنقت بدون حماس فكرة احتلال محدود.

- اعتبار الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكرة ضم بلاد البربر للإسلام بأنها مغامرة مروّعة، ولذلك رفض رفضاً قاطعاً طلب عمرو بن العاص بالاندفاع نحو الغرب³⁶ لإظهاره بمظهر المسالم الخائف.

- لم تكن الحملات العسكرية لملك صقلية المسيحية (1091/484م) ضد سواحل بلاد المغرب عملية غزو، بل هي مجرد عمليات تأديب³⁷، وهي نفس الفكرة التي ادّعتها فرنسا ضد الداي عند احتلال الجزائر.

هـ- استبدال المنهج الإسلامي بالمنهج الوضعية الغربية: وكأنهم يقولون لنا ها هي علومنا الاجتماعية والإنسانية بديلاً عن منهجكم المبني على أحكام جاهزة، فمناهجنا قائمة على العلم والبرهان والتجارب، فهي علوم حقيقية برهانية، يقول رينان: " كل شخص عنده شيء من التعلم في عصرنا هذا يلاحظ بوضوح دونية المسلمين الراهنة،

والانعدام الثقافي لديهم ناجم عن تلقي ثقافتهم وتربيتهم من الدين الإسلامي فقط³⁸، ولتكريس هذا المنهج الصقوا بالتاريخ الإسلامي مصطلحات مشينة كالرجعية والظلامية، ثم الإرهاب في الوقت الحالي، والحقيقة أنَّ هذا المنهج لم يُطبق ضد التاريخ العربي الإسلامي فحسب، بل ضد كل الشعوب المستعمرة ولاسيما في إفريقيا لتدمير ثقافتها، تقول الكاتبة الكينية ماثي: "عندما تذكرت ما رواه لي أجدادي عن تاريخ مجتمعا (الإفريقي) بدأت أدرك أنَّ الكثير مما حدث في إفريقيا قبل الاستعمار كان خيرا على عكس ما تعلمت في المدارس (الاستعمارية)"³⁹.

تقترب الكتابة التاريخية الفرنسية أحيانا من مدرسة هيغل التاريخية التي تقدس الدولة والأمة والتاريخ (الدولة الفرنسية طبعا) فتري في نفسها دولة متحضرة، جاءت بالحرية والحضارة للشعوب المستعمرة، وقد طبقت هذه السياسة بشكل فضيع في الجزائر بصفة خاصة سواء بما ألف من كتب، أو من خلال النظام التعليمي بتدريس تاريخ فرنسا ومنه الثورة الفرنسية ومبادئها، وقد تمكنت من تحقيق بعض النجاح بتكوين طبقة من المثقفين آمنوا بتلك الأفكار فانعكست على كتاباتهم.

لم تختلف مدرسة الحوليات⁴⁰ كثيرا عن المدرسة الوضعية في تناولها لتاريخ الجزائر، إلا من حيث توسيع دائرة البحث باعتماد علوم أخرى كعلوم مساعدة في دراسة التاريخ، أمّا من حيث تفسيره وكتابته فقد حافظت على الطابع الاستعماري إلا في القليل النادر، فكل ما كُتب كان تاريخا محليا بعيدا عن إطاره العربي الإسلامي العام، وحتى من كتبوا في هذا حاولوا فصل تاريخ الجزائر عن تاريخهم الإسلامي العام كما رأينا مع جورج مارسلي في كتابه "بلاد المغرب وعلاقاتها بالشرق الإسلامي في العصر الوسيط".

لقد سخرت إدارة الاحتلال الفرنسي كل مؤسساتها العسكرية، والمدنية، والإعلامية، والأكاديمية لكتابة تاريخ الجزائر وفق مخططاتها وأهدافها الاستغلالية، ولاسيما الجمعيات التاريخية وأعطتها الصلاحيات والمساعدات، نذكر منها على سبيل المثال:

- الجمعية التاريخية الجزائرية: société historique algérienne تأسست سنة 1856م، دورها طبع الأبحاث والدراسات التي يقوم بها أعضاؤها، أصدرت المجلة الإفريقية التي كان يرأسها الفيلسوف وعالم الآثار (1801-1869) ADRIEN BERBRUGGER والتي أولت عناية خاصة بالآثار الرومانية، كما أصبحت هذه المجلة مصدرا لكتاب تاريخ الجزائر حتى الآن.

- إنشاء مكتبة مدينة الجزائر سنة 1838م، وجمعيتي الآثار بقسنطينة سنة 1852م، ووهران سنة 1878م، كما استعانت ببعض الجزائريين في ذلك كابن العنتري الذي كتب عن تاريخ مدينة قسنطينة، وترجمة الحفناوي لبعض أعلام الجزائر.

الخاتمة:

لقد تزامن ظهور النظريات الاجتماعية والمدارس التاريخية بمختلف توجهاتها ومناهجها مع فترة خطيرة على الأمة الإسلامية، وهي الفترة التي تعرضت فيها معظم الأقطار الإسلامية للغزو الأوروبي وما صاحبه من استشراق لا يقل خطورة عن الاحتلال نفسه، ووجهت فيه سهام النقد، وفُرضت نظريات مريبة تحاول هدمه وإثارة الشبهات والكراهية للتفسير منه، وقد كانت الجزائر من أشد من تعرض لذلك. وإذا كانت كتابة تاريخ الجزائر بأيدي أبناء قليلة وتفتقر إلى حد ما إلى منهجية علمية على غرار ما كتبه مبارك بن محمد الملي، وعبد الرحمن الجيلالي ومحمد علي ديبوز، فإن ذلك تمّ في ظرف خاص وهو الاحتلال بات أمرا ضروريا لأننا كنا في مرحلة البناء، أمّا الآن وفي ظل الاستقلال يجب إعادة النظر في قراءة تاريخنا أو بالأحرى كتابته وإزالة كل ما ألحق به، لأنه ليس من المنهج الحق أن ننكر وجود القيم المعنوية والروحية لمجرد أنه لا يمكن أن نلمسها أو نراها كما تلمس أو ترى الأشياء المادية، أو لأنها لا تخضع لشروط المناهج والمذاهب الوضعية التي توصف بأنها علمية، فإنّ الأثر الذي تحدثه ينهض دليلا محسوسا على وجودها وإذا كان الغرب قد اخترع وطبق تلك النظريات، فذلك انطلاقا من ثقافته والظروف الدينية التي عاشها، وهنا يجب أن نفرّق بين اللاهوت كدين جامد متزمت سيطرت فيه الكنسية ورجالها، وبين دين إسلامي يدعو إلى العلم والعمل والازدهار في إطار القيم والأخلاق، وأنّ بعض أحداث التاريخ الإسلامي لا يجب أن تأخذ كمسلمات، فلا نعاتب من انسحب من الرماة في غزوة بدر ونتهمهم بأنهم سبب الهزيمة، ولكن علينا أن نأخذ العبرة من ذلك، عكس المسيحية التي كانت تعتقد أنّ ما يراه رجال الدين هو الصواب دائما.

إذا كان ولا بد ومسايرة للتطور العلمي في مناهج العلوم الإنسانية (التاريخ) الأخذ بالمناهج الغربية بما يخدم هذا العلم، كوسائل البحث وحفظ التراث المخطوط، أمّا تحقيقها فنحن أسبق في هذا الفن منهم، أمّا قراءة التاريخ وتفسيره فلنا خصوصيتنا الدينية والهويّية التي ندرس فيها تاريخنا.

هوامش البحث:

- 1- الطاهر مولف: العقل الوضعي عند أوغيست كونت، رسالة ماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008م، ص18.
- 2- محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، 2002م، ص237-238.
- 3- رينيه ديكارت: مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1985م، ص267-268.
- 4- محمد محمد أمزيان: منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، لندن، 1981م، ص43.
- 5- بيار ماشيري: كونت الفلسفة والعلوم، ترجمة سامي أدهم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1994م، ص21.
- 6- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ج2، 578/ أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط2، 2001م، ص999 وما بعدها.
- 7- أندري لالاند: المرجع نفسه، ص1002.
- 8- هربارت ماركوز: الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، ط3، 1988م، ص197.
- 9- إميل بوترو: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م، ص45.
- 10- ليفي بريل: فلسفة أوغيست كونت، نقله إلى العربية محمود قاسم، السيد محمد بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، ص22-23/ نبيل محمد توفيق السمالوطي: الإيديولوجية قضايا علم الاجتماع النظرية والمنهجية والتطبيقية، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية، دط، دت، ص39.
- 11- لؤي صافي: " نحو منهجية أصولية للدراسات الاجتماعية " مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، لندن، ع1، جويلية 1995م، صص31-94.
- 12- إميل بوترو: المرجع نفسه، ص41/ جميل صليبا: المرجع السابق، ج2، ص577.
- 13- فيورباخ: أصل الدين، دراسة وترجمة أحمد عبد الحليم عطية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1991م، ص14.
- 14- غيوم سيبيرتان: الفلسفة السياسية في القرنين 19-20م، ترجمة عز الدين الخطابي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2011م، ص138.
- 15- ليفي بريل: فلسفة أوغيست كونت، ص238.
- 16- هاربرت ماركيز: المرجع السابق، ص181.
- 17- محمد الروكي: " ملاحظات حول الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ " آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات، ع27-28، 2000م، صص42-56، ص45.
- 18- إميل بوترو: المرجع السابق، ج1، ص271.
- 19- بيار ماشيري: المرجع السابق، ص16.
- 20- خالد بلانكشيب: " الإسلام والتاريخ العالمي نحو تقسيم جديد للعصور التاريخية " مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، لندن، ع1، جويلية 1995م، صص95-131، ص95.
- 21- محمد عابد الجابري: مسألة الهوية العروبة الإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط4، 2012م، ص122 وما بعدها/ لوي ألتوسير: مونتسكيو السياسة والتاريخ، ترجمة نادر ذكرى، دار التنوير للطباعة، بيروت، 2006م، ص53.
- 22- لوي ألتوسير: المرجع السابق، ص54.
- 23- محمد عابد الجابري: نفسه، ص119.

- 24- عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي لتاريخ، دار الملايين، بيروت، ط3، 1991م، ص129.
- 25- جريدة الميشر، دار مطبعة السلطنة، الجزائر، ع18، بتاريخ 1852/8/1م، ص503.
- 26- جريدة الميشر، ع94، بتاريخ 1851/8/1م.
- 27- الزبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ج2، ص24.
- 28- جورج مارسلي: بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م، ص26.
- 29- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص30.
- 30- أحمد خليل الشال: أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بور سعيد، ط1، 2016م، ص425.
- 31- ريمون فيرون: المرجع السابق، ص65.
- 32- ابن خلدون: المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط9، 2006م، ص118.
- 33- E.F. GAUTIER : le passe de l'Afrique du nord, les siècles obscurs, bibliothèque Payot, paris, p303, 393, 405. ترجمة جمال الدين الديناصوري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963م، ص64/ إ. و. بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تعريب الهادي أبو لقمة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1988م، ص181.
- 34- جورج مارسلي: المرجع السابق، ص11.
- 35- جورج مارسلي: المرجع السابق، ص12.
- 36- ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق وتقيم عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت، ص33-34.
- 37- جورج مارسلي: المرجع نفسه، ص12، 21-22.
- 38- غريغوار منصور مرشو: مقدمات الاستتباع الشرق موجود بغيره لا بذاته، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ط1، 1996م، ص9.
- 39- وانغاري ماثي: إفريقيا والتحديث، ترجمة أشرف محمد كيلاني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2014م، ص151.
- 40- سميت مدرسة الحوليات نسبة إلى مجلة حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي التي أسسها بستراسبورغ سنة 1929م كل من (MARC BLOCH (1886-1944 و (LUCIEN FEBVRE (1878-1956 دعت إلى التفتح على العلوم الاجتماعية كالألسن وعلم الاجتماع والتحليل النفسي والأنثروبولوجيا، والاهتمام بالتاريخ الاقتصادي، متبينة النظرية البنوية التي تنظر إلى العلوم ككل متكامل، إلى أن اختفت هذه المدرسة في سبعينيات القرن العشرين. ألون منسلو: دراسة تفكيكية للتاريخ، ترجمة قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2015م، ص20، ص43.

مصادر ومراجع البحث:

- 1- أحمد خليل الشال: أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بور سعيد، ط1، 2016م.
- 2- إدوارد وليام بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، نقله إلى العربية الهادي أبو لقمة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1988م.
- 3- ألون منسلو: دراسة تفكيكية للتاريخ، ترجمة قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2015م.
- 4- إميل بوترو: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م.
- 5- أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط2، 2001م.
- 6- بيار ماشيري: كونت الفلسفة والعلوم، ترجمة سامي أدهم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1994م.
- 7- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.
- 8- جورج مارسلي: بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م.

- 9- ابن خلدون: المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط9، 2006م.
- 10- ريمون فيرون: الصحراء الكبرى، ترجمة جمال الدين الديناصور، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963م.
- 11- رينيه ديكارت: مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1985م.
- 12- الزبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
- 13- الطاهر مولف: العقل الوضعي عند أوغيست كونت، رسالة ماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008م.
- 14- ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق وتقيم عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت.
- 15- عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي لتاريخ، دار الملايين، بيروت، ط3، 1991م.
- 16- غريغوار منصور مرشو: مقدمات الاستتباع الشرق موجود بغيره لا بذاته، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ط1، 1996م.
- 17- غيوم سيبرتان: الفلسفة السياسية في القرنين 19- 20 م، ترجمة عز الدين الخطابي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2011م.
- 18- فيورباخ: أصل الدين، دراسة وترجمة أحمد عبد الحليم عطية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1991م.
- 19- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2007م.
- 20- لوي ألتوسير: مونتسكيو السياسة والتاريخ، ترجمة نادر ذكرى، دار التنوير للطباعة، بيروت، 2006م.
- 21- ليفي بريل: فلسفة أوغيست كونت، نقله إلى العربية محمود قاسم، السيد محمد بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.
- 22- محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، 2002م.
- 23- محمد عابد الجابري: مسألة الهوية العروبة الإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط4، 2012م.
- 24- محمد محمد أمزيان: منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، لندن، 1981م.
- 25- نبيل محمد توفيق السمالوطي: الإيديولوجية قضايا علم الاجتماع النظرية والمنهجية والتطبيقية، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية، د.ت.
- 26- هربارت ماركوز: الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، ط3، 1988م.
- 27- وانغاري ماثاي: إفريقيا والتحديث، ترجمة أشرف محمد كيلاني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2014م.
- 28- جريدة الميشر، دار مطبعة السلطنة، الجزائر، ع18، بتاريخ 1852/8/1م، ع94، بتاريخ 1851/8/1م.
- 29- مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات، ع27-28، 2000م.
- 30- مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، لندن، ع1، جويلية 1995م.
- 31- E.F. GAUTIER : le passe de l'Afrique du nord, les siècles obscurs, bibliothèque Payot, paris.